نحو نقد للترجمات الأدبية: نموذج أنطوان بيرمان

حسن بحراوي

جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ

المغرب

يعبر بيرمان في كتابه "من أجل نقد للترجمات:جون دون" (غاليمار 1995) عن طموحه إلى تأسيس نقد للترجمات يكون صنفا من أصناف النقد العام، أي مؤسسة أدبية لها وضعها الاعتباري وإطارها المرجعي الخاص بحيث لا تستمر في العيش على هامش الممارسة النقدية ولكن تعززها وتشكل أحد أجنحتها الأساسية.

وهكذا، وانطلاقا من الإرهاصات النقدية الأولى التي شهدها القرن الثامن عشر مع جهود الألماني فريدريك شليغل الذي يعتبر الأب المؤسس لنقد الترجمات، وصولا إلى أعمال والتر بنيامين في مستهل القرن العشرين، سيعيد بيرمان النظر في طبيعة هذا النقد باتجاه الانزياح به عن وظيفة "الحكم jugement" بالمعنى الكانطي للكلمة، أو وظيفة "التقويم évaluation" التي مارسها في العصر الحديث، إلى جعله ينهض بمهمة جديدة هي التحليل الدقيق لترجمة ما من حيث مميزاتها الأساسية وشكلها النوعي، وأساسا بالوقوف على المشروع الذي تولدت عنه والأفق الذي انبثقت منه والذات المترجمة التي انخرطت فيه..

وبالنسبة لبيرمان، فإن نقد الترجمات باعتباره "جنسا نقديا" إنما يجب أن ننقب عليه في المحاولات التي اجترحها بعض المحدثين ممن اهتموا بتحليل الترجمات على نحو منهجي يتوفر على الحد الأدنى من الدقة والوجاهة، وهو يتوقف بالخصوص عند محاولتين:

- التحليلات التي دشنها هنري ميشونيك بنصوصه المتميزة حول ترجمات سيلان Celan والكتاب المقدس..ويتميز هذا الشكل من النقد بصدوره عن التصور النظري الشعري الذي يأخذ به صاحبه ومنه يمتح منطقه الجدلي الخاص، ولكن أيضا ينطبع بسلبيته وبطابعه السجالي المفرط.

- التحليلات التي تقترحها المدرسة المعروفة بمدرسة تل أبيب التي أسسها إيفان زاهور وجديون توري وصار لها أتباع في كندا (بريسي) وبلجيكا (لامبير). وتشتغل هذه المدرسة على تطوير سيميائات للترجمة هي نفسها متصلة بنوع من سوسيونقد للترجمات أو ما تسميه هي ب"سيميائات الأدب المترجم". ونعثر لديها على تحليلات للنصوص المترجمة وعلى تأمل نظري ينصب على نقد تلك الترجمات.ولكن ما يميز عمل هذه المدرسة هو نزعتها الوظيفية والحتمية بل الرجعية والتي تبرز على الخصوص في انكبابها على دراسة ممنهجة للإديولوجيات والدوكسات التي تنطوي عليها الممارسة الترجمية.

وفي سياق استعراض مشروعه النقدي الخاص بالترجمة يعلن بيرمان انتسابه للهرمينوتيك التي طورها بول ريكور وهانس روبير انطلاقا من كتاب هايدغر "الكائن والزمن"، وهو يبرر هذا الاختيار بكون هذا النوع من المقاربة يساعده على إضاءة تجربته كمترجم وقارئ للترجمة ثم كمحلل ومؤرخ للترجمات.

ولما كان تحليل بيرمان يكتسي طابعا نقديا فإنه يتأسس أيضا على أفكار والتر بنيامين على اعتبار أننا نعثر لدى هذا الأخير على "المفهوم الأسمى والأكثر راديكالية للأدب."

ويتشكل التحليل الذي يقترحه بيرمان للترجمات من مجموعة الخطوات المتعاقبة، فهو يبدأ بقراءة نص الترجمة، عدة مرات إذا اقتضى الحال، ثم الانتقال بعد مدة إلى قراءة الأصل قبل أن يسعى إلى

التعرف على صاحب الترجمة، الذي يسميه "الذات المترجمة"، ويعمل على تحديد ثلاثة من متعلقاته هي الموقف الترجمي ومشروع الترجمة والأفق الترجمي.وهذه المقولات الهيرمينوتيكية الثلاث هي التي سيجري تدقيقها وتفصيل كلام بشأنها على مدار الكتاب.

بعد ذلك يعمد بيرمان إلى القيام بتحليل مقارن لكل من النص المترجم والأصل بهدف تحديد نوعية "المواجهة" التي ستتم بين النصين والكشف عن الشكل اللغوي والنصي الذي ستتخذه هذه "المواجهة".

وبما أن جزءا كبيرا من نقد الترجمات الراهن تهيمن عليه مظاهر الغموض واللغة المتخشبة العائدة إلى استعمال السميائيات بوجه خاص، فإن بيرمان يستعين بأربعة مبادئ الغرض منها توفير المقروئية والوضوح والجاذبية، وهذه المبادئ التي يستمدها من آفاق مختلفة هي على التوالي: وضوح العرض وقابلية الانعكاس والنزعة الاستطرادية ثم النزعة التفسيرية.

وقد خصص بيرمان فصلا مستقلا لدراسة التقبل المباشر للترجمة، أي ذلك النقد الذي يستقبل الترجمة عند ظهورها ويهذب صورتها لدى القراء، وذلك من خلال النظر في الملفات الصحفية التي تجمع فيها دور النشر كل ما يكتب من نقد مباشر حول الترجمات المهمة التي تصدرها. وهو يشير إلى أن تحليل هذه الملفات يشكل مسارا مثيرا في البحث وإن لم يكن هدفا في حد ذاته.

وفي هذا المستوى من البحث يكون هدف ناقد الترجمة هو التعرف على الكيفية التي جرى بها استقبال النص المترجم، وهل تم تقييمه وتحليله وكيف بدا للنقد والنقاد، وكل ذلك من أجل معرفة الطريقة التي قدمت بها الترجمة إلى "الجمهور".

وإذا ما كان لتحليل الترجمة أن يكون حكما أيضا، ويجب أن يكون كذلك في جوهره طالما أننا لا نكون أبدا محايدين إزاء ترجمة ما، فإن بيرمان يتساءل عن إمكانية وجود قاعدة غير ذاتية، وبخاصة غير دوغمائية وغير معيارية ولاوصفية، أي قاعدة توافقية للحكم على ترجمة ما. وهذه الإمكانية هي التي ستجعل نقد الترجمات "منتجا" بعبارة شليغل. فإذا وُصفت ترجمة ما بكونها "جيدة" أو "ممتازة" أو "عظيمة" فإن النقد يكون منتجا إذا ما جعل مهمته هي بيان هذه المميزات ومساعدة القارئ على الوقوف على جودة تلك الترجمة أو عظمتها مثلا. كما أن وصف ترجمة أخرى من طرف النقد بأنها "متوسطة" أو "ضعيفة" أو "سيئة" إلخ لا يستدعي فضحها أو التنديد بها كما يفعل ميشونيك، بل على الناقد أن يكشف عن أسباب هذا الإخفاق الترجمي ويهيئ إمكانية إعادة الترجمة من دون أن يعطي الانطباع بأنه "يقدم نصائح".

وإذا نحن تأملنا هذه الخطاطة النقدية التي يقترحها بيرمان لنقد الترجمات فإننا نجده يقتبس بعض عناصرها تارة من ميشونيك وتارة أخرى من مدرسة تل أبيب سابقة الذكر، وذلك مع مراعاة موافقتها مع تلك المفاهيم العائدة إلى بنيامين. ولذلك فهو لا يدعي تقديم نموذج تحليلي متكامل بقدر ما يقترح مسارا تحليليا ممكنا وموزعا إلى مراحل متتالية.

ويذكر بيرمان كذلك أنه توصل إلى إعداد هذا النوع من التحليل مستفيدا من تجربته كمترجم للنصوص الأدبية الصعبة، فمن خلال قراءة وإعادة قراءة الصيغ المتتالية لنص الترجمة، وبالقيام بنوع من الذهاب والإياب بين هذه الصيغ والنص الأصلي سوف يهتدي إلى معرفة "ذلك الشيء البديهي تماما الذي يسمى تعلم قراءة الترجمة".

ثم إن بيرمان لا ينفك يؤكد على أمرين يعتبرهما أساسيين هما إقصاء الأصل ومقاومة إغراء المقارنة. ذلك أن الطريقة الناجعة في قراءة الترجمة عنده هي تلك التي تسمح لنا بمعرفة هل النص

المترجم قادر على "الاستقرار" في اللغة المستقبلة أم لا. ومفهوم الاستقرار هنا له معنيان: الاستقرار كنص مكتوب داخل اللغة المستقبلة، أي عدم خروجه عن "معايير" الجودة المتفق عليها في الكتابة. أما المعنى الثاني فهو استقرار الترجمة كنص حقيقي تكون جميع عناصره متسقة ومتعالقة ومنظمة..

ونظرا للأهمية الاستثنائية التي تكتسيها هذه المقترحات وللموقع الذي يحتله بيرمان كمبشر بنقد خاص بالترجمات، سنسعى في هذه الصفحات إلى إلقاء الضوء على هذه المقاربة التي نعتبرها جديرة بالتأمل والفحص بالنظر إلى الآفاق التي تفتحها أمام المشتغلين بالترجمة الأدبية والإشكالات النظرية والعملية التي تقوم باستنهاضها على نحو نقدي منتج.

قراءات الأصل

لا تكون القراءات التي نقوم بها للأصل منفصلة عن القراءات الإضافية الأخرى، مثل قراءة الأعمال الأخرى للمؤلف، وقراءة الترجمات الأخرى للمترجم وغيرها من القراءات النقدية والإخبارية التي تسعى كلها إلى تحقيق نوع من الألفة من جهة مع النص المترجم، ومن جهة أخرى مع الأصل.

على أن بيرمان يرى بأن هذه القراءات للأصل ينبغي أن تتم بمبعدة عن النص المترجم، لكن عليها في نفس الوقت أن لا تنسى تلك "المناطق النصية" التي تبدو فيها الترجمة تارة إشكالية وتارة أخرى موفقة، بل عليها تقرأها وتعيد قراءتها وتسطر تحتها لأجل إعداد المواجهة المرتقبة مع نص الترجمة.

إن القراءة السريعة للأصل ستتحول إلى تمهيد للتحليل النصي للترجمة pré-analyse، أي إلى عملية التقاط وكشف "للسمات الأسلوبية" التي تضفي طابعا فرديا على الكتابة في لغة الأصل وتأتي

منتظمة في شبكة من التعالقات. وهذه القراءة وإن كانت لا تسعى إلى الشمول فإنها تهتم بالتعرف على نوعية وأشكال الجمل المستعملة ونظام تسلسل العبارات وطريقة استخدام النعوت وأزمنة الأفعال..من دون استثناء الحقول المجازية التي تكون مسؤولة عن نقل رمزية العمل التي غالبا ما يهملها المترجم.

وبصورة عامة، فإن هذه القراءة ترمي إلى الإمساك بنوعية العلاقات التي تربط، داخل العمل، بين الكتابة واللغة وتعطي فكرة عن الإيقاع الذي يميز النص موضوع الترجمة. وهنا تتشابه القراءة التي يقوم بها الناقد وتلك التي قام بها المترجم قبل وخلال إنجاز الترجمة.

وبيرمان، وهو يؤكد على تشابه القراءتين، لا يرى أنها متطابقتان. ذلك أن قراءة المترجم كما يشير إلى ذلك في كتابه " L'épreuve de l'étranger" هي نوع من التمهيد للترجمة pré-traduction، أي قراءة منجزة في أفق الترجمة، وكل المميزات ذات الطابع الفردي التي سبق الحديث عنها إنما يجري اكتشافها قبل عملية الترجمة وخلالها.ومن هنا يتملك المترجم "نظرته النقدية" الخاصة والمستقلة، وهي نظرة غير مبنية فقط على مواجهته مع النص الذي يترجمه، بل مدعومة بالعديد من القراءات الإضافية التي يكون المترجم قد قام بها في المؤلفات الأخرى للكاتب، وفي المؤلفات المختلفة التي كتبت حوله وحول ترجمته. وفي هذا الصدد يحكي بيرمان أن شاطوبريان قد اطلع على كل الأدبيات الاشتراكية المعروفة في عصره بمناسبة إقدامه على إعادة ترجمة "الفردوس المفقود" لملتون، وأن جاكوتي Jacottet اضطر إلى مراجعة كتابات المتخصصين الألمان في هوميروس عند محاولته إعادة ترجمة "الأوديسة".

ونحن نفهم من الإلحاح على هذه القراءات الموسعة والمتنوعة التي يطالب بها بيرمان المترجمَ أن عملية الترجمة لابد أن تكون مدعومة بخبرات ومعلومات ضافية مما يؤكد المقولة القديمة التي

تقول بأننا "نترجم بمساعدة الكتب وليس فقط بالاعتماد على القواميس".

وهو يسمي هذه الاستعانة الضرورية بالقراءات وغيرها من الأدوات بدعم الفعل الترجمي étayage de l'acte traductif. ويتضمن دعم الترجمة هذا المناصصات les paratextes التي تسند الترجمة مثل المقدمات والمداخل والهوامش والمعجم..الخ

وإذا كان فعل الترجمة يحتاج على الدوام أن يكون مدعوما، فإن ذلك لا يمس في شيء استقلاله الجوهري، وذلك في المقام الأول لأن تلك القراءات التي يقوم بها المترجم لا تكون مقيدة بل تكون قراءات حرة، ومن جهة أخرى لأن الترجمة لا يمكنها أن تكون "عارية" وإلا فإنها لن تنجح في عمل التحويل الأدبي المنشود.

إن قراءات ناقد الترجمة تكون أكثر ترابطا ومنهجية من قراءات المترجم، لأنه يكون مطالبا بإنتاج خطاب مفهومي ونقدي حول نص الترجمة.

وانطلاقا من هذا التحليل التمهيدي الذي يتشكل من قراءات الناقد للترجمة، ومن القراءات الإضافية، يعلن بيرمان عن بدء عمل دؤوب لانتقاء الأمثلة الأسلوبية الوجيهة وذات الدلالة في النص الأصلي مؤكدا أن دقة المواجهة مع الأصل ستعتمد حتما على هذه الأمثلة ولذلك يعتبر اختيارها لحظة صعبة وأساسية.

ويسمي بيرمان هذه المقاطع المجتزأة من الأصل بالمناطق الدالة في النص Zones signifiantes، أي تلك التي يبلغ فيها العمل غايته ونقطة ارتكازه الخاصة، وحيث تكون الكتابة متملكة لدرجة عليا من الضرورة. وهذه المقاطع لا تبرز من القراءة الأولى، بل غالبا ما يكون عمل التأويل هو الذي يكشف عنها ويؤكد وجودها.

ففي قصيدة مثلا يمكن أن تكون هذه المقاطع الدالة عبارة عن بيت أو بضعة أبيات، وفي الرواية تشخصها مقاطع محددة، ويمكنها أن تكون الجملة الأخيرة من قصة قصيرة، وفي المسرحية قد تكون جملة من حوار هي التي تخبرنا عن معنى العمل برمته بطريقة مدققة ومقنعة، وفي عمل فكري قد تبرز مجموعة جمل فجأة لتشخص من خلال بنيتها نفسها حركة وصراع الفكر..

وعلى عكس "المقاطع الأنطولوجية" الكلاسيكية، فإن هذه المقاطع لا تكون دائما هي "الأجمل" من الناحية الفنية. وسواء أكانت جميلة أم لا، فإنها جميعها تبرز دلالة العمل. ذلك أن المقاطع الأخرى تكون مطبوعة بدرجات متفاوتة ومهما ظهر عليها الاكتمال بطابع اتفاقي، أي لا تتوفر على تلك الضرورة الكتابية المطلقة ويكون بإمكانها أن تكتب "بطريقة مختلفة".

والخلاصة التي ينتهي إليها بيرمان من هذه التحديدات هي أننا قبل مباشرة التحليل الملموس للنص المترجم لابد من القيام بخطوتين أساسيتين:

- تحليل نصي تمهيدي pré-analyse textuelle ينتقي عددا من المميزات الأسلوبية الأساسية في النص.

- القيام بتأويل للعمل يسمح باختيار المقاطع الدالة.

الآن، وقد وجدنا مدخلا للنص المترجم، ووضعنا يدنا على مناطقه الضعيفة والقوية، وقمنا بتحليل وتأويل الأصل، وأعددنا مادة من الأمثلة الموجزة والتمثيلية..يطرح علينا بيرمان السؤال التالي: هل نحن مستعدون للمواجهة؟

وهو يجيب نيابة عنا بالنفي، ذلك أننا إذا كنا نعرف "النسق" الأسلوبي للأصل، فإننا نجهل كل شيء عن نسق النص المترجم. وذلك بالرغم من "إحساسنا" بأن الترجمة تنطوي على نسق طالما

هي تبدو متماسكة. غير أننا نظل جاهلين للمنطق الذي "ينظم" هذا النسق. وإذا قمنا بمقارنات مستعجلة بين العمل وترجمته فإنه سيظهر لنا بسرعة نوع من التوافق الإجمالي، ولكن ستبرز لنا أيضا اختيارات وانزياحات وتعديلات مختلفة إذا لم تكن تصدمنا فهي على الأقل تثيرنا: لماذا مثلا تُرجمت هذه العبارة على هذا النحو وليس على نحو آخر؟..إلخ

وهكذا فإذا شئنا معرفة منطق النص المترجم يكون علينا أن نتجه إلى فحص العمل الترجمي نفسه، ومنه إلى التعرف على المترجم.(Berman :1995.67.72)

في البحث عن المترجم

يعتبر "الذهاب إلى المترجم" منعطفا منهجيا أساسيا، حتى أن هيرمونتيك الترجمة جعلت إحدى مهامها البحث في الذات القائمة بالترجمة sujet traduisant. فالسؤال عمن يكون المترجم يواجهنا حتما كلما كنا أمام ترجمة، تماما مثلما يواجهنا سؤال من هو المؤلف عند قراءتنا لأي عمل أدبي. لكن السؤالين ليس لهما نفس المضمون في الواقع.

إن سؤال من هو المترجم له هدف آخر. فإذا كان السؤال حول المؤلف يسعى إلى التعرف عن العناصر البيوغرافية والنفسية والوجودية التي من شأنها أن تنير العمل، فإن سؤال المترجم يخبرنا بصورة إجمالية، ولكن مدققة، عن الموقف الذي يتخذه هذا الأخير من ممارسة الترجمة، وعن الخطوط العريضة لمشروعه الترجمي، وعن آفاق الانتظار التي تلبيها لدى قراء ترجماته بمختلف شرائحهم الاجتماعية ومؤهلاتهم الثقافية..إلخ

لقد أصبح من الصعب أكثر فأكثر بقاء المترجم في وضعية ذلك الشخص المجهول تماما. وبيرمان في هذا الصدد يقترح ترسانة من

الأسئلة التي يهمنا أن نبحث عن جواب لها إذا ما أردنا أن نشكل صورة للمترجم:

هل المترجم وطني أم أجنبي؟ هل يقتصر في عمله على الترجمة أم يمارس مهنة أخرى ذات دلالة، كالتعليم مثلا؟ نرغب كذلك معرفة فيما إذا كان المترجم مؤلفا كذلك؟ وهل أنتج أعمالا؟ من أية لغة أو لغات يترجم؟ وما هي نوعية العلاقة أو العلاقات التي يعقدها مع اللغة أو اللغات التي يترجم عنها؟ وإذا ما كان مزدوج اللغة؟ وبأية طريقة؟ وما نوع الأعمال التي يترجمها في العادة؟ وهل هو متعدد لغات الترجمة polytraducteur أم أحادي لغة الترجمة monotraducteur ؟ نريد كذلك أن نعلم ما هي المجالات اللغوية والأدبية التي يخوض فيها؟ ونعرف هل أنتج أعمالا في الترجمة بالمعنى الذي قدمناه أعلاه؟ وما هي ترجماته الأساسية؟ وهل يكتب مقالات أو دراسات أو أطروحات أو مؤلفات حول الأعمال التي قام بترجمتها؟ وأخيرا، هل كتب عن تجربته كمترجم؟ وعن المبادئ التي تقوده في ممارسته للترجمة؟ وعن رأيه في ترجماته والترجمة بشكل عام؟..

وتبقى لائحة الأسئلة مفتوحة: هل ترجم بصحبة آخرين؟ وكيف؟..إلخ

ويرى بيرمان أنه بالرغم من كثرة هذه المعلومات الإخبارية التي تقربنا من المترجم وعمله فإنه ينبغي أن نذهب إلى أبعد من ذلك لتحديد موقفه الترجمي ومشروعه في الترجمة وأفقه الترجمي.(Ibid :73.74)

الموقف الترجمي

يبدأ الحديث عن الموقف الترجمي بتأكيد بديهية مفادها أن كل مترجم يقيم علاقة نوعية مع نشاطه الخاص، أي يكون لديه نوع من "التصور" أو "الإدراك" لفعل الترجمة وغاياتها وأشكالها

وصيغها..وهذا التصور أو الإدراك قد يحملان طابعا شخصيا خالصا طالما أن المترجم لابد أن يكون واقعا تحت تأثير خطاب تاريخي واجتماعي وأدبي وإديولوجي عن الترجمة.

إن الموقف الترجمي، بهذا المعنى، هو نوع من الاتفاق أو التسوية بين الطريقة التي يدرك بها المترجم مهمة الترجمة باعتباره ذاتا مأخوذة بغريزة الترجمة، والطريقة التي يستبطن بها الخطاب المحيط بالترجمة. ويكون موقف التسوية هذا ناتجا عن إعداد مسبق من لدن المترجم الذي ما إن يختار موقفه الترجمي، ذلك أن الأمر يتعلق دائما باختيار، حتى يرتبط به فيما يشبه التعهد أو الالتزام.

ويذكر بيرمان أنه ليس من السهولة التعبير عن الموقف الترجمي، بل ليست هناك حاجة إلى ذلك أصلا. وإذا كان من الممكن أن يصاغ هذا الموقف ويتمظهر أو يتحول إلى تمثيلات représentations فإن هذه الأخيرة لا تعبر دائما عن حقيقة الموقف الترجمي، خاصة إذا وردت في نصوص ذات تسنين قوي مثل المقدمات أو الحوارات التي يأخذ فيها المترجم الكلمة، وذلك لأن المترجم يميل في هذه الحالة إلى التحدث باسم ما هو شائع من الأفكار غير الشخصية حول الترجمة.

وأخيرا فليس هناك مترجم من دون موقف ترجمي، بل إن عدد المواقف الترجمية يوازي عدد المترجمين أنفسهم. وبالإمكان تجميع هذه المواقف انطلاقا من الترجمات نفسها التي تخبر عنها ضمنيا، وانطلاقا مما يكون المترجم قد عبر عنه من آراء حول الترجمات وأسلوبها وغير ذلك من الموضوعات.

ومن جهة أخرى تبدو هذه المواقف الترجمية ذات ارتباط بالموقف اللغوي للمترجمين: أي بعلاقاتهم باللغات الأجنبية، وباللغة الأم، وبالكيفية التي يعيشون بها داخل هذه اللغات ويتكيفون معها، ثم بموقفهم من الكتابة.وعندما نستعرض في نفس الوقت الموقف

الترجمي والموقف اللغوي والموقف الكتابي لدي المترجم تصبح إقامة "نظرية للذات القائمة بالترجمة" أمرا ممكنا. (Ibid :74.75)

مشروع الترجمة

يحدد بيرمان في ندوة "يوم فرويد" سنة 1988 مفهوم المشروع الترجمي كالتالي: إن الجمع، في الترجمة الناجحة، بين الاستقلال والتبعية لا يمكن أن يترتب إلا على ما يمكن تسميته بالمشروع الترجمي. هذا المشروع الذي لا يحتاج أن يكون نظريا. فالمترجم يمكنه أن يحدد قبليا درجة الاستقلال أو التبعية التي سيطبع بها ترجمته بناء على تحليل تمهيدي للنص المعد للترجمة pré-analyse، ذلك أن لا أحد يمكنه أبدا أن يحلل نصا قبل ترجمته.

إن كل ترجمة تكون مسبوقة بمشروع أو بهدف معبر عنه، وما يحدد هذا المشروع أو الهدف هو في نفس الوقت الموقف الترجمي والمتطلبات النوعية التي يستدعيها العمل المراد ترجمته، كما أن المشروع والترجمة على السواء ليسا بحاجة، هما أيضا، أن يكون معبرا عنهما في الخطاب أو منظرا لهما.

إن المشروع الترجمي هو الذي يرسم الطريقة التي سيعتمدها المترجم في إنجاز التحويل الأدبي translation، ومن جهة أخرى يحدد طريقة القيام بالترجمة نفسها واختيار "صيغتها" وأسلوبها..

ويتخذ مشروع الترجمة، إذا ما أعلن عنه المترجمون، أشكالا متعددة: فقد يكون عبارة عن "أنطولوجية" لأعمال الكاتب، أو نقلا كليا أو جزئيا لأعماله، ويجوز أن يكون في طبعة أحادية أو مزدوجة اللغة، كما يمكن تقديمه في طبعة "عارية" أي خالية من المناصصات كالمقدمة وغيرها، أو في طبعة مدعمة بمناصصات..إلخ

ودراسة هذه الترجمات وحدها، إذا لم تكن هناك مناصصات تتحدث عن العمل المترجم، يمكنها أن تكشف لنا عن "الصيغة"

المختارة للترجمة، وعن طريقة الترجمة..وهذا هو الوجه الثاني للمشروع الترجمي.

وسوف يكون على ناقد الترجمة أن يقرأها انطلاقا من مشروعها. ولكن حقيقة هذا المشروع لا يُتوصل إليها، في النهاية، إلا عبر الترجمة نفسها، وعبر التحويل الأدبي الذي يقوم به المترجم، ذلك أن كل ما يمكن أن يقوله المترجم أو يكتبه بخصوص مشروع ترجمة ما لا يكتسب حقيقته إلا داخل الترجمة.

ومن هنا، فالترجمة ليست سوى تحقيق لمشروع على هذا القدر أو ذاك من الوضوح، فهي تسير حيث يقودها المشروع، وتصل إلى حيث يصل بها المشروع. وإذن فلا يمكننا الحكم على جودة مشروع ترجمي إلا من خلال النظر إلى نتائجه. وإذا فشلت ترجمة ما فالخطأ يعود إلى المشروع وحده أو إلى مظهر من مظاهره. (Ibid :76.79)

أفق الترجمة

إن الموقف الترجمي ومشروع الترجمة يوجدان، بدورهما، ضمن أفق. وكما واضح، فإن بيرمان يستعير الكلمة والمفهوم من الهيرمونتيك الحديثة. فمفهوم الأفق الذي طوره فلسفيا كل من هورسل وهايديجر، وواصل إعداده بطريقة ملموسة وإبستمولوجية كل من غادامير وريكور، ثم تقدم به في مجال الهيرمونتيك الأدبي هانس روبير ياوس بطريقة خصبة..هذا المفهوم أصبح بهذا الشكل صالحا للاستخدام في الهيرمونتيك الترجمي l'herméneutique traductive.

ويمكن تعريف مفهوم الأفق، في المقاربة الأولى، بأنه مجموع الثوابت اللغوية و الأدبية والثقافية والتاريخية التي "تحدد" شعور وعمل وتفكير المترجم.

واختيار ترجمة عمل ما، أو إعادة ترجمته، ينطلق دائما من أفق ما، مفرد أو متعدد..كالوضع الذي يكون عليه نوع أدبي معين في فترة محددة، أو انتشار معرفة أو ثقافة ما يغذيهما تيار أدبي أو إديولوجي، أو الإجابة على أسئلة تطرحها المرحلة..إلخ

وإذا استعملنا عبارة ياوس، فهناك دائما "أفق انتظار" لجمهور معين باتجاه موضوع معين.

إن هذه الثوابت هي ما يشكل الأفق الضروري للمترجم، والذي يمكنه أن يكون أفقا متعددا كما تقدم. ثم إن مفهوم الأفق تكون له طبيعة مزدوجة: فهو يشير إلى الهدف الذي ترمي إليه ترجمة عمل ما ويحدد فضاء فعلها، ولكنه من جهة أخرى يشير إلى حدود هذا الفضاء الذي يُلزم المترجم بالبقاء في دائرة الإمكانات المحدودة.

وقد كان استعمال بيرمان لهذا المفهوم قد جعله بمنجاة من النزعة الوظيفية والبنيوية اللتين تختزلان المترجم إلى مجرد "ناقل" محددٍ كليا اجتماعيا وإديولوجيا، وفضلا عن ذلك تعودان بالوقائع الترجمية إلى سلسلة من القوانين والأنساق. إن الأمر يتعلق هنا، كما يقول ياوس، بأفق تجربة، بعالم، وبفعل..كما مكنه هذا الاستعمال من الإمساك بالبعد الترجمي في حياته المباشرة وفي جدلياته المختلفة. (Ibid :79.82)

وهذه العودة إلى الهيرمونتيك الحديثة، باعتبارها في نفس الوقت تأملا في الشعرية والأخلاق والتاريخ والسياسة، تبدو اليوم عودة مبررة على اعتبار أن المحاور الأساسية في علم الترجمة هي الشعرية والأخلاق والتاريخ، أي أن التطوير المستقل للأبحاث الترجمية يلتقي، في نقطة ما من مساره، بالهيرمونتيك التي لم تهتم كثيرا بالقضايا الخاصة بالترجمة باستثناء عند غادامير إلى حد ما.

إنها اللحظات الثلاث الأساسية التي تتمفصل إليها نظرية بيرمان في نقد الترجمة كما عرضنا خطوطها العريضة، وهذه المحاور كما رأينا هي:

- الموقف الترجمي.
- المشروع الترجمي.
- الأفق الترجمي.

وهي لحظات لا تتقاطع خطيا، ولكنها تترابط وظيفيا فيما بينها لتؤسس شروط المقاربة العلمية للظاهرة الترجمية من جميع جوانبها اللغوية والأسلوبية والدلالية..

أهم مراجع البحث:

BERMAN Antoine, L'épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Paris. Gallimard. 1984.

.....…., La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain.in les Tours de Babel. Essais sur la traduction, Mauvezin, éd. Trans. Europ. Repress.1985.

.....…., Pour une critique des traductions :John Donne. Gallimard, 1995.